مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 01 السنة 2021 ص 14 - 25

تاريخ الإرسال: 2020/01/20 تاريخ القبول: 2020/09/24
تاريخ النشر: 2021/01/30

جهود الراهب الفرنسيسكاني يوحنا مونتي كورفينو التنصيرية
The efforts of the Franciscan monk John Monte Corvino

فاطمة زهرة ساعد،
جامعة الجزائر2 (الجزائر)، fatima.saad@univ-alger2.dz

الملخص:

نتج عن فساد الحياة الكنسية في العصور الوسطى ظهور منظمات رهبانية تسعى إلى الإصلاح الديني باتباع قوانين صارمة، كان من أهمها منظمة الرهبان الفرنسيسكان والرهبان والدومنيكان بلغت بعثاتهم التنصيرية ذروتها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر وازداد بذلك نفوذهم حتى أطلق على العصرين عصر الرهبان الاخوان، ومن هذه النقطة يتطرق البحث الى أحد نماذج هذه الإرساليات التي مثلها مبعوث البابا الراهب الفرنسيسكاني يوحنا مونتي كورفينو إلى بلاد المغول والجهود المضنية التي بذلها في سبيل إنجاح مهمته وتنصير أكبر قدر من الناس وتحقيق نتائج مرضية بالمقارنة مع أسلافه.

الكلمات المفتاحية: يوحنا مونتي كورفينو، الكنيسة الكاثوليكية، النساطرة، المغول، الصين.

Abstract :

The corruption of church life in the middle ages resulted in the emergence of monastic organizations seeking religious reform through strict laws, the most important which were the Franciscan and the Dominican Order, their missionaries reached

their climax during the thirteenth and fourteenth centuries, and their influnce increased until the two eras called « the era of the brotherhood ». from this point, the research deals with one of the examples of these missions, which were represented by the envoy of the fransiscan monk, John Monte Corvino, to the land of the mongols and the strenuous efforts which he made in order to make his mission successful, christianize the largest number of people, and achieve satisfactory results compared to his predecessors.

Keywords : John Monte Corvino ; Catholic Church ; Nestorian ; Mongol ; China.

المؤلف المرسل: ساعد فاطمة زهرة، FATIMA.SAAD@UNIV-ALGER2.DZ

1.مقدمة:

وضعت الإرساليات الأوروبية الموجهة نحو المغول التي جسدها وليام روبروك وكاربيني ومثيلاتها اللبنات الأولى للتنصير بالمسيحية الكاثوليكية بين ظهرانيهم، ورغم أن عزيمة البابوية سرعان ما فتئت لسوء فهم الحكام المغول لها واعتبارها بمثابة إعلان التبعية لهم، وبناء على طلب سفير ملك فرنسا لويس التاسع (روبروك) تم التوقف عن إرسال المزيد من الوفود الى تلك المناطق، غير أن مقدم الراهب النسطوري رابان ساوما ورفيقه رابان مارك من الصين للحج إلى الأرض المقدسة، حاملا معه رسائل أرغون ايلخان فارس إلى البابا في روما ورغبته في التحالف مع الغرب اللاتيني ضد المسلمين، غير مجرى الأحداث وبث فيهم الروح التنصيرية من جديد مما دفع بالبابا نيقولا الرابع إلى إرسال الراهب الفرنسيسكاني يوحنا مونتي كورفينو برفقة مجموعة من الرهبان إلى الأراضي المغولية حاملين معهم

رسائله إلى حكامها. فهل أنجز مبعوث البابا مهمته؟ وماذا أضافت للبعثات السابقة؟ وما الذي نجحت به دون غيرها؟ ولماذا؟

2. الإشارات الأولى:

وردت أول إشارة ليوحنا مونتي كورفينو[1] حسب المؤرخ يولي (yule) خلال إرساله من قبل الإمبراطور البيزنطي ميخائيل باليولوج (mochael paleologus) إلى البابا غريغوري العاشر في سنة 1272م حول موضوع اتحاد الكنيسة اليونانية مع روما، غير أن جهوده انتهت فقط في حرمانه من قِبل أحد خلفاء غريغوري من الدفن وفق الشرائع المسيحية[2].

وفي حوالي 1280م أرسله بوناقراتيا (bonagratia) القس العام لرابطته الى الشرق،[3] فغادر إيطاليا في منتصف 1280م لفارس وصولا الى بغداد في الوقت ذاته الذي كان فيه الراهبان المغوليان يابلاها الثالث وبارصوما[4] في المدينة، وحسب المؤرخ هالبرتسما فمن المحتمل أن الثلاثة التقوا حين بقائهم في المدينة. وفي سنة 1289م عاد يوحنا الى بلاده حاملا رسائل من الحاكم أرغون الذي أرسل في وقت سابق رايان ساوما كمبعوث إلى البابا في أوروبا.[5]

وسرعان ما أعيد إرساله من جديد من طرف البابا نيقولا الرابع[6] في15 جويلية 1289م في بعثة أخرى حاملا معه خطابات الثناء إلى كل من أرغون حاكم إيلخانية فارس وملك أرمينيا (الصغرى) وبطريرك اليعاقبة وأسقف توريس والخاقان قوبيلاي ومنافسه كايدو التركستاني في آسيا الوسطى.[7]

ربما ما يؤكد فرضية هالبرتسما في التقاء الرهبان الثلاثة من قبل إحدى الرسائل التي أعطاها له البابا ليسلمها إلى يابلاها الثالث.

3. بداية البعثة:

في سنة 1289م خرج يوحنا من إيطاليا في بعثته البابوية متبعا طريق طريق البحر ليتجنب الحرب بين كايدو وقوات الخاقان قوبيلاي، زار أرغون لأول مرة في عاصمته توريس انطلق بعدها مرة أخرى في عام 1291م لزيارة الخاقان قوبيلاي في الصين فعرقلت الحرب السالفة الذكر مسيرته والتي تداخلت في الوقت ذاته مع عودة ماركو بولو من الصين الى أوروبا ولم يتمكن من عبور آسيا الوسطى فقرر الذهاب عن طريق الهند أين أمضى أكثر من سنة في ميلابور بمدراس (Mylapur in Madras) مرسلا من هناك إلى روما خطابا يبلغ فيه البابوية عن مسيحي "القديس توما" وعن أحواله وأهم إنجازاته بها، يذكر أنه خلال مكوثه بالهند عمد حوالي مائة شخص في العديد من المناطق بصحبة الراهب الدومنيكاني Nicholas Pistoia الذي لقي حتفه هناك ودفن بكنيسة القديس توماس (St.Thomas) ولم يصل الى الصين إلا بعد وفاة قوبيلاي[8]، كان وصوله إليها في أواخر 1293م ورغم الاستقبال الحافل الذي تلقاه به الخان الجديد تيمور أولجايتو[9] في بداية عام 1294م.[10]

4. أهم إنجازاته:

كان أول عمل على يوحنا أن يقوم به بعد وصوله إلى مملكة التتار أن يباشر دعوته ويقول في إحدى رسائله أنه دعا الإمبراطور الى اعتناق المسيحية غير أنه رفض ذلك رغم معاملته الحسنة لهم، واستمر برفقته حوالي اثنتي عشر سنة.[11]

وفي رواية لوادينغ Wadding تشير أن يوحنا نصر وأمه وعمدهما وما لبث أن مات بعدها الحاكم بفترة قصيرة ليتم تشييع جثمانه ودفنه في دير في الكنيسة من المحتمل أن يكون حفيد قوبيلاي (Ayur Balibatra) في سنة 1311م، إلا أن Yule يرى أن هذه الرواية بعيدة عن الصحة إلى حد بعيد بسبب عدم ورود هذا الخبر الى أوروبا ومن ناحية أخرى، يضيف وادينغ أنه بعد مرور ثلاثين عاما على

دفنه عندما هم الرهبان بترك كاثاي والتوجه الى ساراي عاصمة مغول القبجاق (أين كان يوجد بها مسيحيون) وجدوا أن جثة الملك الراحل بقت على حالها وهو ما يفند فرضية وادينغ.[12]

من المحتمل أن تعميد الخان لا يعني بالضرورة تنصره وإنما كنوع من الاحتفال وممارسة الطقوس مع أصحاب الديانات كما الحال مع أسلافه وهناك قصة مشابهة مفادها تعميد قوبيلاي خان.

واجه مبعوث البابا العديد من الصعوبات في مهمته إذ كان عليه أن يستمر مدة 12 عاما لوحده دون معونة باستثناء التاجر الإيطالي Pietro de Lucalongo رفيقه من تبريز الى الصين الذي اشترى له قطعة أرض في خان باليق بنى عليها كنيسته الأولى.[13] ونستشف من خلال ذلك دور التجار المهم في تلك في نشر الدين.[14]

كما قام بصناعة برج ووضع به ثلاثة أجراس علاوة على ذلك قام بتعميد 6000 كان ذلك ف الـ 11 سنة التي قضاها بمفرده في الصين كما قام بشراء أطفال صغار حوالي أربعون طفلا من أبناء الوثنيين أعمارهم تتراوح بين الـ 7 والـ 11 سنة على دفعات كما مكنه اتقانه للغة البلد من ترجمة العهد الجديد والمزامير اليها.[15]

وخلال سنة من تواجده بالصين نجح في الحصول على تأييد الأمير النسطوري كورغوز(Korgoz)[16] بعد أن تمكن من إقناعه على تغيير معتقده الى الكاثوليكة، وتبعه في ذلك جزء كبير من شعبه وله فضل كبير في بناء كنيسة سماها الكنيسة الرومانية تلبية لرغبة يوحنا نفسه، غير أنه قتل سنة 1299م في الحرب الكبرى مع كايدو[17] تاركا وراؤه ابنه ذو ثلاث سنوات أطلق عليه اسم يوحنا إكراما له.[18] وقد أدى موت الأمير النسطوري الى إجبار أشقائه أتباعه على الرجوع الى نسطوريتهم.

يخلص داوسون إلى أن نجاح بعثة كورفينو بالمقام الرئيسي مع الطبقة الحاكمة Turco–Mongols والسكان الأجانب الذين تألفوا من العديد من الأعراق المختلفة بما في ذلك الآلان Alans من منطقة البحر الأسود. [19]

كان على مبعوث البابا أن يواجه معارضة النساطرة له بسبب تعصبهم لمذهبهم، إذ دبروا له المكائد متهمين إياه بالكذب وأنه لم يرسل من طرف البابا، واستمر على هذه الحال والمضايقات زهاء خمس سنوات لتظهر براءته في نهاية الأمر بعد أن نفاهم الحاكم.[20]

رغم هذه الضغوطات إلا أنه حقق العديد من الإنجازات فبعد انقضاء قرابة 12 عاما على تواجده في إمبراطورية المغول انضم إليه الراهب الألماني أرنولد (Arnold) من مقاطعة كولونيا، بنى يوحنا كنيسة أخرى في خان باليق[21] المقر الرئيسي للخان سنة 1305م. [22]

5- تتويج مجهوداته:

بعد أن تاكد للبابوية[23] تواجد يوحنا بالصين أرسلت له الإمدادات ممثلة في سبعة من الرهبان الأكفاء لينصبوه رئيسا للأساقفة ويساعدوه في مهمته هم: جيرارد(Gerard)، بيرجرين(Pergrin)، أندري دي بيروس (André de Pérouse)، نيقولا دي بوترا(Nicolas de Bautra)، بيتر اوف كاستل (Peter of Castile)، أندري الأسيزي(Andrutuis D'Assise)، ويليام فيلونوف (William of Villeneuve) [24]

وفي سنة 1308م وصل من هؤلاء السبعة الى الصين فقط جيرارد وبيرجرين واندري[25]. في حين مات ثلاثة بالهند بسبب الطقس بينما عاد ويليام فيلونوف إلى إيطاليا.[26]

أرسلهم النائب العام مع تراخيص البابا للتاتار الداخلية والهند وفي أحد هذه التراخيص، يمنحه البابا كليمنت الخامس بعد تعيينه رئيسا لأساقفة خان باليق، القدرة على تعيين الأساقفة والرهبان ورجال الدين في مدن ومحافظات الشرق، ومنحه كل سلطاته، تماما كالبابا الذي يرأس الكنيسة الغربية واللاتينية مع بقاء تبعيته للغرب[27].

وفي غضون ذلك، كان الثلاثة يتولون منصب الأساقفة في زيتون[28].وبعد حوالي ستة قرون تم العثور على قبر أحد الرهبان (Andrew of Perugia) الذين حملوا رسالة تعيين كورفينو أثناء تفكيك أسوار مدينة زيتون.[29]

ونظرا للنجاح الذي حققه يوحنا أضيف ثلاثة آخرون هم بيتر الفلورنسي[30](Peter of Florence)، الذي عين أسقفا في 20 ديسمبر 1310م وجيروم(Jerome) ، وتوماس(Thomas) في 19 فيفري 1311م.[31]

يتضح من كلام بيتر الفلورنسي في كتاب: the book of the great caan أنه أشرف على أحد الأديرة بمدينة زيتون في حين تولى أندري بيروس (بيرجويا) الآخر الذي رافق يوحنا في بكين طيلة خمس سنوات قبل أن ينتقل الى المدينة السالفة الذكر.[32]

ورغم انتشار المسيحية في أنحاء تاي تو (خان باليق) إلا أنه لم يكن هناك مكان مناسب تلتقي فيه جموع متبعيها في أي مناسبة رسمية، في هذه الفترة قامت سيدة أرمينية غنية من نواحي مدينة زيتون بتكريس ثرواتها من أجل إنشاء كنيسة رائعة هناك، حتى أن رئيس الأساقفة، مونتي كورفينو، أطلق عليها اسم الكاتدرائية، ورفعت المقاطعة إلى أبرشية، وعهد بإدارتها إلى الأسقف جيرارد، الذي خلفه بعد ذلك بفترة وجيزة الأسقف بيرجرين.[33]

وفي عام 1326م، كانت هذه المنطقة في عهدة Andre de Perouse، ومن هنا كتب بعضا من تفاصيل رحلته عبر آسيا الوسطى، وتحدث أيضًا عن حالة البعثات الكاثوليكية في الصين.

يؤكد على وجود كورفينو مذكرات أودوريك Odoric of Pordenone الذي زار الصين سنة 1321م وعاد في حدود سنة 1330م حيث وجد الفرنسيسكان الذين أسسوا كاتدرائية ومنزلين في زيتون[34].

بعد مسيرة طويلة ومضنية مات يوحنا مونتي كورفينو حوالي سنة 1328م عن عمر يناهز 83 سنة وقد ازدهرت الكنيسة الغربية بفضله على يد العديد من الأساقفة الذين عينهم أو خلفوه بعد موته أكثر من ثلاثون سنة.[35]

وفي سنة 1338م تم إرسال سفارة الى روما طلبا لأسقف يخلف مونتي كورفينو بعد أن تركوا دون رئيس منذ وفاته، رغم أنهم تلقوا تعليمات جيدة في العقيدة الكاثوليكية، أدى إلى آخر بعثة في العصور الوسطى الى الشرق الأقصى مثلها جون مارينولي الذي غادر افينيون في نفس السنة ووصل إلى بكين في 1342م وجلب كهدية من البابا الى الإمبراطور حصان حرب غربي عظيم دون في السجلات الصينية على أنه حصان عظيم من مملكة الفرنجة[36].

6. خاتمة:

حقيقة الأمر أن بعثة الراهب الفرنسيسكاني يوحنا مونتي كورفينو تستحق كل إعجابنا بسبب المجهودات التي قام بها والانجازات التي حققها بالمقارنة مع أقرانه السابقين وحتى اللاحقين ورغم الجهود التي بذلها يوحنا في سبيل تنصير مغول يوان إلا أنها زالت بزوالهم بعد سقوط سلالتهم التي دامت زهاء قرن على يد القوميين الصينين فبعد سنة تم طرد المسيحيين من بكين دون عودة ضمن حملة ضد الأديان حتى مجيء الجزويت في القرن الحديث، كما أن نجاحه كان مع الأمراء الأتراك

وبعض الوثنيين، ومهما يكن فإن تأريخ إرسالية جون وغيرها من الإرساليات التنصيرية تم من جانب الغرب اللاتيني الذي يجعل من دراسة الموضوع فقيرة إلى حد ما في ظل تحفظ المصادر العربية والإسلامية واكتفائها بذكر القليل.

7.المراجع

[1]– يوحنا مونتيكورفينو :(John Montecorvino)هو المؤسس الحقيقي لبعثة الصين ولد مابين سنة 1246 او 1247م في مونتيكورفينو في مونتي كورفينو بمدينة ساليرنو الإيطالية بدأ حياته كعسكري قاضي واستاذ في بلاط الامبراطور فريديريك وسرعان ما أصبح أحد أتباع رابطة الاخوان الضغار. أنظر: A.C Moule; Christians in china before the year 1550; London; 1edt; 1930; p166,167.

[2]– Henry Yule; cathay and way thither, being a collection of medieval notices of china; vol3; munshiram manharlal; new delhi ; 1916 ; p4.

[3] – Moule ; ibid ; p167.

[4]– رابان ساوما: Rabban Sawma راهب نسطوري من الصين، حينما صار شابا قرر اعتزال الناس للتعبد في احدى الجبال اين التقى ب ربان مارك مرافقه في رحلة الحج إلى الأرض المقدسة وزيارة أرغون الذي جعله سفيره إلى البابوية.

[5]–Tjalling H. F. Halbertsma; Early Christian remains of Inner Mongolia: discovery, reconstruction and appropriation. Publisher: Leiden; Boston: Brill, 2008, p25,26,27.

[6]– بتنصيب جيروم اسكولي Jerome of Ascoli ليكون البابا نيقولا الرابع سنة 1288م افتتح مرحلة جديدة في تاريخ البعثات اللاتينية باعتباره أول فرنسيسكاني يجلس على الكرسي الرسولي. أنظر:

[7] – Yule ; op.cit ; p4.

[8] – Christopher Dawson, Mission to Asia : narratives and letters of the Franciscan missionaries in Mongolia and china in the thirteenth

and fourteenth Centuries ; trans : Nun of Stanbrook Abbey ; haper; New York; 1966.pxxxi.

[9]- تيمور أولجايتو: خليفة قوبيلاي من 1307-1311م

[10] - Jean-Paul Roux ; histoire de l'empire mongol; p

[11]- Dawson; op. cit; p224.

[12]- Yule; op. cit; p10.

[13]- Peter Jackson; the Mongols and the West 1221-1410; 2005; p258.

[14]- أدت سياسة المغول دورا هاما في تاريخ العلاقات التجارية بين الشرق والغرب هذه السياسة التي بنيت على أساس فتح أبواب التجارة والطرق التجارية وتامين التجار ابان سيطرتهم على معظم قارة اسيا في الفترة التي سميت بالسلام المغولي Pax Mongolia منذ منتصف القرن 13م الى منتصف القرن 14م وضاعف من أهمية التجارة سيطرة المغول على أهم الطرق كالطريق الشمالي او طريق الحرير العظيم الذي يربط البحر الأسود غربا بالصين شرقا عبر العديد من المدن والمحطات التجارية البرية في وسط اسيا في المقابل كانت سياسة البابوية تهدف الى تعزيز تلك العلاقات التجارية مع الشرق وقطعها مع دولة المماليك التي شكلت خطرا لكيانهم وقد ساعد على ذلك تطور المواصلات الخارجية تطورا عظيما وكان الامبراطور قوبيلاي خان قد سمح للتجار الأجانب بالمجيء الى الصين فتدفق اليها من 20 بلدا أو أكثر بما فيهم العلماء العرب والاوروبيون الذين استقروا فيها وساهموا في تطور العلوم والثقافة بها. انظر: عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي، كلية الآداب، جامعة الزقازيق،1997م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، ص219. مجلة بناء الصين، تاريخ الصين، ج2، 1987م، ص41.

[15]- Dawson; op. cit; p225.

[16]- كورغوز أو جورج حاكم الاونغوت (tonduk)الأتراك شمال غرب الصين الشعب الذي ينتمي اليه مار يابالاها وقد ورد ذكره عند ماركو بولو بانه من سلالة بريستر جون (القديس يوحنا) يتولى حكم بلاده اقطاعا من الخان الأعظم ويوجد بها خليط من المسلمين والنساطرة والوثنيين لكن الغالبية الساحة للنساطرة الذين يتولون زمام الحكم وهو الملك الرابع في

الانحدار من بريستر جون. انظر: Thomas wright; the travels of Marco Polo;p124,125.

[17]– الحرب بين قوبيلاي وكايدو

[18]– M.l'abbe Huc ; Christianty in China, tartary, and thibet; London; 1857; vol1; p348.

[19]– Dawson; ibid; pxxxiii.

[20] –Dawson ; ibid; p225.

[21]– خان باليق: بكين حاليا اتخذها قوبيلاي عاصمة لدولته بعد ان كان مقر الحاكم قبل ذلك في قوراقورم.

[22]– Dawson; ibid; 225.

[23]– عندما وصلت رسائل كورفينو الى روما في حدود سنة 1306م كان قد تم تعيين بابا جديد كليمنت الخامس(Climent v)

[24]– هناك اختلاف في أسماء الأساقفة السبعة في حين يتفق على القائمة المذكورة اعلاه كل من Moule وL'Abbe يختلف عنهم Yule في (Pergrin of Castello) و(Ulrich Sayfusterdt). انظر: Yule; op.cit ;p10

[25]–M.L'abbe Huc, p355

[26]– Yule; po. cit; p10.

[27]– Moule; op. cit; p183.

[28]– زيتون (zaytun): الاسم العربي لـ Quanzhou، ميناء في امارة fujian مثل دورا مهما في عهد سلالة يوان. انظر:

[29]– Halbertsma; op. cit; p28.

[30]– أرسل البابا كليمنت الخامس مرسوما الى بيتر الفلورنسي يعلمه أنه نتيجة للزيادة الكبيرة في عدد المسيحيين في جميع أنحاء الصين والتتار، من المستحسن تعيين اساقفة جدد، لتسهيل نشر العقيدة الكاثوليكية. انظر:M.l'abbehuc ;op.cit ;p356

[31]– Moule; ibid; p183.

[32]– Yule; op. cit; p11.

[33]– Odorec de Pordenone; les beaux voyages d'autrefois; cons: Musée Cernuschi; paris; p49.

[34]–Mule; idid; p196.

[35]– Moule; ibid; p196.

[36]– Dawson: op. cit; pxxxiii,xxxiv.